مصطلح الحيز في كتابات عبد الملك مرتاض

The term space in the writings Abdul Malik Murtad

مفيدة شايب [1,*]

[1] جامعة الإخوة منتوري، (قسنطينة)،moufidachaib88@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2022/03/01 تاريخ المراجعة: 2022/05/28 تاريخ النشر: 2022/06/15

ملخص:

لقد كان للمكان في حياة الإنسان قيمته الكبرى ، حيث اقتحمت دلالته الكثير من المجالات(الهندسة ، العلوم التجريبية،الفلسفة....) ، فهو موجود بوجود البشرية .

ويعد المكان العالم المادي الحسي الذي تعيش فيه الشخصيات ، وتدور من خلاله الأحداث ، حيث يتميز بأهمية كبيرة في تأطير المادة الحكائية.

ولعل أول من اهتم بدراسة المكان داخل الصرح السردي هم الفرنسيون، ويتمظهر المصطلح تحت عدة تسميات نظرا للتصادم الذي حدث بين المشرق و المغرب في إثارة المفاهيم المتداخلة في اصطناع هذا المفهوم بين الفضاء ، الحيز، المجال، الفراغ...، ومن هذا السجال القائم بين الباحثين حول تحديد مفهوم للمكان جاء هذا المقال ليحاول استحضار تلك المصطلحات المختلفة قصد التوقف عند مصطلح ₺الحيز₺حسب الاصطلاح "المرتاضي".

الكلمات المفتاحية: المصطلح-المصطلح السردي-المكان- الفضاء- الحيز.

Abstract:

The place in human life had a great value, as its significance penetrated into many fields (engineering, experimental sciences, philosophy...), as it exists in the presence of mankind.

The place is the physical, sensory world in which the characters live, and through which events revolve Of great importance in the framing of the story.

Perhaps the first to study the place within the narrative edifice are the French, and the term appears under several labels due to the collision that occurred between the East and the Maghreb in provoking the overlapping concepts in the fabrication of this concept between space, space, space, emptiness..., and from this controversy between Researchers about defining a concept of place This article came to try to evoke those different terms in order to stop at the term ₺ space ₺ according to the term "consensual".

Key words: *Terminology, narrative term, place, space, space.*

*المؤلف المراسل.

تقديم:

تعد إشكالية توظيف المصطلحات النقدية الغربية المعاصرة الوافدة إلى النقد العربي ،من الأمور المستعصية التي خاض فيها النقاد و الأدباء العرب وذلك في مدى استيعاب الثقافة العربية لمصطلحات الثقافة الغربية وتطبيقها على نصوص عربية ،وهو ما تحاول هذه الورقة البحثية الإجابة عنه من خلال الإشارة إلى دراسة مصطلح المكان و تضاربات تسمياته المختلفة بين النقاد و إسقاطه وفق الخلفية المرتاضية التي ترسى وتميل إلى استعمال مصطلح الحيز في كتاباته ، ومن ثمة الإجابة عن بعض التساؤلات : كيف استقبل الناقد المصطلحات السردية الوافدة علينا من الضفة الغربية ، و ما مدى توفيقه في تطبيق آلياتها داخل مدونته النقدية ؟ وما المصطلحات البديلة التي تفرد باستعمالها ؟

وقبل التطرق إلى تبيان مفهوم الحيز سرديا عند مرتاض نود الإشارة إلى مصطلحي المكان، والفضاء أولا.

1-المكان (place):

يتخذ عنصر المكان لنفسه منزلة أساسية داخل العمل السردي،فالمكان ليس منعزلا عن باقي العناصر السردية الأخرى، إنه يدخل في تشابك مع المكونات الأخرى، حيث لا أحداث، لا شخصيات تقوم لها قائمة دون المكان .

إن لكلمة مكان (place) وجود في مختلف العلوم، حيث دخلت هذه الكلمة مجال الرياضيات والفيزياء والفلسفة، ويعد المكان بادئ الأمر "وسط مثالي متميز بظاهرية أجزائه، تتمركز فيه مداركنا (Percepts)، وتاليا يتضمن كل الفضاءات المتناهية". [1]

واتخذ المكان لنفسه مفاهيم كثيرة عند الفلاسفة ابتداء من "أفلاطون" وانتهاء بفلاسفة العصر "فقد صرح أفلاطون بأن المكان حاويا، وقابلا للشيء، ورأى أرسطو (بعد مقدمة جدلية طويلة رد فيها على أقوال الفلاسفة في المكان) أن المكان هو " نهاية الجسم المحيط، وهو نهاية الجسم المحتوى." [2]

وقد تجلى التعبير عن المفهوم كذلك داخل عالم الأدب بنوعيه الشعري والسردي، حيث أصبح يتحلى بصيغة جمالية فنية، فنقول إنه "المكان الذي يتشكل بفعل الخيال لغويا، أي أن المكان هو المكان الملموس، والخيال هو خيال الأديب الذي تكون لديه عبر تاريخ طويل تحت وقع الظروف الاجتماعية والنفسية، والسياسية والدينية ". [3]

من خلال ما سبق نقر بأن المكان فلسفيا هو ما ارتبط بالجانب الحسي الملموس، بمعنى أنه عالم مادي حسي، أما المكان في جانبه الفني هو ما ارتبط بمخيلة كل واحد منا، إنه المكان المتجذر في اللاوعي للكاتب الذي يعكس من خلاله وقائعه و أماكنه الحقيقية، فالمكان الفني هو "مكان متخيل مشكل من ألفاظ لا من موجودات أو صور، فهو إذن مكان غير حقيقي ينشأ عن طريق الكلمات وهذا لا يعني انتفاء علاقته بالواقع المعيش،إذ لابد من وجود تماثل بدرجة أو أخرى مع العالم الحقيقي خارج النص، وذلك لاستحالة بناء الأحداث والشخصيات في مكان لا ملامح له ، فضلا عن كون المكان يوصل الإحساس بمغزى الحياة، ومن خلال هذا يعمد الروائي في بعض الأحيان إلى إضفاء الواقعية على المكان في رواياته وإلباس شخصياته ثوب أفراد مجتمعه الذي يعيش فيه، كي يعبر عما لا يستطيع التعبير عنه بصورة مباشرة فيتحول إلى رمز" [4]

بعد هذه اللمحة السريعة عن تعريف المكان، نود الإشارة إلى أن أول من اهتم بدراسة المكان "هم الفرنسيون، ذلك في عهد الستينيات والسبعينيات، وأبرز هؤلاء "جورج بولي" و"جليبر دوران" و"رولان برونوف"، وكان أبرز من أسهم بفعالية في لفت الانتباه لمصطلح المكان في بنية نسج العمل الإبداعي هم الباحثون "يوري لوتمان" (yourilotman)، "روبير بيتش" (r.petch) و"هيرمان مير" (h.meyer) ومن أبرز المؤلفين في دراسة المكان الروائي "هنري ميتران" وذلك بإصدار كتابه:"خطاب الرواية" عام 1980 (discour du roman)، كما عد كتاب: "غاستون باشلار" من أهم الكتب التي ألفت في الموضوع".[5]

يقول "غاستون باشلار": "المكان هو المكان الأليف، وذلك هو البيت الذي ولدنا فيه، أي بيت الطفولة، إنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة، وتشكل فيه خيالنا، فالمكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة".[6]

إذن يجعل "غاستون باشلار" للمكان علاقة ببيت الطفولة، ويربط من خلاله جميع الذكريات المستعادة المخزنة في اللاوعي، أو الخيال الباطني ، " فالبيت القديم، بيت الطفولة هو مكان الألفة، ومركز تكييف الخيال، وعندما نبتعد عنه نظل دائما نستعيد ذكراه ونسقط على الكثير من مظاهر الحياة المادية، ذلك الإحساس بالحماية، والأمن اللذين كان يوفرهما لنا البيت".[7]

في ختام الحديث عن مصطلح المكان ، نورد أسماء أهم الدارسين ممن فضل هذا الاصطلاح، حيث نجد:

"غالب هلسا - سيزا قاسم- شجاع العاني- عبد الله إبراهيم- ياسين النصير- مهند يونس- عبد الحميد المحادين- موريس أو ناضر- يمنى العيد - جميل شاكر- سمير المرزوقي- سعد العتابي"[8]

وهؤلاء النقاد أو هذا الفريق يصنف المكان إلى عدة تصنيفات، مثل:

"المكان المجازي- المكان الهندسي- المكان المعاش- المكان الأصل- المكان العرضي- المكان المركزي- المكان المسرحي والتاريخي- المكان الأليف- المكان المعادي- المكان الآمن وغير الآمن"[9]

وفيما يأتي نتوقف عند مصطلح " الفضاء" للتحليل وتبيان مفاهيمه ومدلولاته.

2-الفضاء (space):

أما عن الفضاء السردي(**narrative space**)، فيمكن القول «أن الروائي حين يرسم الفضاء، يحمل القارئ إلى عوامل خيالية، ويبث فيه الإحساس بأنه يحيا فيها، ويتنقل في أنحائها، والفضاء الذي يرسمه هو لغوي وعقلي وليس ماديا، إنه تشكيل خيالي للواقع أو لفضاء حقيقي».[10]

نود أن نشير إلى الجهد الكبير الذي أفادنا به الباحث " حميد لحميداني" في كتابه "بنية النص السردي "، بخصوص تبيانه لمفاهيم الفضاء وعلاقته بالمكان، حيث قدم لنا الفضاء تحت عدة مفاهيم :[11]

*الفضاء كمعادل للمكان ويطلق عليه عادة الفضاء الجغرافي.(L'espace géographique)

*الفضاء النصي: (L'espace textuel) ويقصد به الحيز الذي تشغله الكتابة ذاتها باعتبارها أحرفا طباعية على مساحة الورق.

*الفضاء الدلالي (Espace sémantique)وهو الذي يتأسس بين المدلول المجازي، والمدلول الحقيقي.

ونظرا للالتباس الذي وقع بين مصطلحي الفضاء والمكان، نقول إن المكان داخل العمل السردي هو مكان متنوع،متعدد« فتغيير الأحداث، وتطورها يفترض تعددية الأمكنة، واتساعها أو تقلصها حسب طبيعة موضوع الرواية (...)، ثم إن مجموع هذه الأمكنة هو ما يبدو منطقيا أن نطلق عليه اسم فضاء الرواية، لأن الفضاء أشمل وأوسع من معنى مكان والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء (...)،إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية، فالمقهى أو المنزل أو الشارع أو الساحة، كل واحد منها يعتبر مكانا محددا، ولكن إذا كانت الرواية تشمل هذه الأشياء كلها، فإنها جميعا تشكل فضاء الرواية». [12]

المكان إذن جزء من الفضاء، فالفضاء هو الكل، هو الأصل، والمكان هو الفرع من ذاك الأصل، فالأرض مكان، والسماء مكان، الجبال والبحار أمكنة، ومجموعها جميعا هو الفضاء.

إن « فضاء الرواية هو ما يجعل الأحداث تقع في العديد من الأمكنة التي تنتظم داخل الفضاء الروائي، لذا يجب التمييز بين الفضاء والمكان، فالمكان في الرواية هو وحدة صغرى، ومن مجموع الأماكن التي تحضر في الرواية يتشكل فضاؤها ». [13]

نستنتج أن فضاء الرواية هو مسرح تطور الأحداث بأكملها،وهو مجموع الأماكن التي تتحرك من خلالها الشخصيات، فإذا كان العمل السردي عبارة عن مجموع حكي متسلسل، فإن الفضاء هو الذي يؤسس ذلك الحكي .

في ختام الحديث عن الفضاء نشير الى طائفة من النقاد الذين تبنوا هذا المصطلح أمثال :

« حميد لحميداني- سعيد يقطين- حسن بحراوي- منيب البوريمي- سمر روحي فيصل- محمد سويرتي- إبراهيم جنداري- راكز أحمد- عواد علي » [14]

ويقسم الفضاء إلى:

الفضاء النصي- الفضاء الجغرافي- الفضاء الدلالي- الفضاء المنظور- فضاءات الإقامة- فضاءات الانتقال- الفضاءات المرجعية - الفضاءات التخيلية- الفضاءات الظاهرة.

3- المكان عند عبد الملك مرتاض :

أما إذا درسنا "المكان" أو " الفضاء" عند الناقد عبد الملك مرتاض، فإن أول إشارة يتميز بها ناقدنا هي مخالفته لجماعة النقاد حول هذا الاصطلاح، حيث يحرص على استعمال مصطلح "الحيز" والتعامل معه في جميع أعماله السردية والنقدية المختلفة، بدل المصطلحات الأخرى المتداولة التي يرى فيها:

« ترجمة لفظ (Espace) بالفضاء، وهذه الترجمة لا تفضي إلى كبير معنى في اللغة العربية، ذلك بأن الفضاء اتخذ في العربية الجارية مفهوم الجو الخارجي الذي يحيط بنا، ومن ذلك غزو الفضاء والأبحاث الفضائية وهلم جرا ». [15]

كما يرى أن مصطلح " الفضاء " لا يتوقف عند ميدان الأدب فحسب، بل يخرج من دائرته إلى ميادين أخرى، حيث يعد الفضاء « عام جدا- في رأينا – وقد تسرب إلى أكثر من حقل معرفي معاصر، فاصطنع فيه، إذ يوجد مثلا في لغة القانون الدولي "حق الفضاء " (Droit de l'espace)، أو "حق المرور الفضائي " و" غزو الفضاء " (Conquête de l'espace) ... ، يضاف إلى كل ذلك بعض المعاني الأخرى لهذا اللفظ مثل المصطلح النازي وهو الفضاء الحيوي (Espace Vital) وهلم جرا... » [16]

أما عن المكان، فيرى أن « المكان ينبغي له أن ينصرف إلى الدلالة الجغرافية، أي إلى المكان الحقيقي الثابت في الخرائط الرسمية للأقطار » [17]

فما يلاحظ عند عبد الملك مرتاض، أنه يربط المكان بالحقيقة، أي المكان المادي الواقعي ، ويخرجه من دائرة الخيال والإبداع الفني الأدبي « فمن أجل ذلك لا نرى إلا من السذاجة النقدية اصطناع مصطلح المكان للشخصية في الرواية، أو الأسطورة أو القصة، أو سواهن من الأجناس الأدبية، والمدرسية والشعبية معا، ذلك بأن المكان كأنه إنما وضع أصلا للجغرافيا لا للفن، أي للحقيقة لا للخيال، يضاف إلى كل ذلك أن المكان يقف عاجزا عن احتمال الأخيلة في تحليقاتها المجنحة، والإبداعات في ابتكاراتها الشموس». [18]

كما نجد الناقد يميز من جهة أخرى بين المجال، الفراغ، المكان، الفضاء (وهي ترجمات للفظ (Espace)، (Space)الأجنبي، والتي دأب بعض النقاد العرب على تداولها)، حيث يقول: « إن المكان يعني الجغرافيا، وأن الفضاء يعني الأجواء العليا التي لا سيادة لأي بلد فيها، والفضاء يعني الفراغ بالضرورة، أما المجال فقد يعني الحيز الأعلى الذي يقوم فوق وطن ما، والذي يكون في متناول الطيران،وتحت سيادة ذلك الوطن وسلطته». [19]

بعد تفصيل كل هذه المفاهيم السابقة الذكر التي أفاد بها عبد الملك مرتاض، والمتعلقة بترجمة مصطلح (Espace)، نرى الناقد يتفرد، ويقترح مصطلح " الحيز " ترجمة لذلك المصطلح الأجنبي(space)، ويتعامل معه في كافة إبداعاته، واصطناعه لهذا اللفظ والدفاع عنه لم يأت من فراغ، بل تجسد وترسخ في مخيلة الناقد بعد جهد كبير من البحث والتوسع في المعاني التي يحملها لفظ " الحيز " .

فماذا يقصد " مرتاض " بمصطلح الحيز (Espace, Space) ؟ وما علاقته بالمصطلحات التي ذكرنا آنفا ؟

جاء في " معجم التعريفات"« أن الحيز عند المتكلمين هو الفراغ المتوهم، الذي يشغله شيء ممتد كالجسم، أو غير ممتد كالجوهر الفرد وعند الحكماء هو السطح الباطن من الحاوي المماس للسطح الظاهر المحوى». [20]

و الحيز عند عبد الملك مرتاض من خلال كتاباته « الحيز، والحيز أيضا بالسكون (Espace, Space) لغة هو ما انحاز إلى البيت، أي انضم إليه، والتحق به، وأصله من الحوز بالواو، وهو الجمع كما ورد ذلك في المعاجم العربية، ثم أطلق على كل ناحية حيز، ثم صارت الناحية في منظورنا نحن على الأقل تعني كل فراغ أرضي، أو سماوي، أو عمودي، أو وزني، أو حجمي، أو خطي (الطول والعرض، أو كل ما يدل على مكان غير جغرافي كأحياز الأعمال السردية التي ينشئها الساردون في عوالمهم الخيالية، حتى نميز المكان الجغرافي من الحيز الإبداعي، وجمعه إما أحياز على اعتبار أن مفرده حيز،وإما أحواز على اعتبار أن أصله واوي » [21]

ويمضي " مرتاض " بالحيز إلى اعتبار أنه« تصور ينطلق من تمثل شيء يتخذ مأتاه من مكان، وليس به، ثم يمضي في أعماق روحه، يفترض عوالم الحيز المتشجرة عن هذا الحيز الأصل الذي لاينبغي أن تكون له أبدا، لأن كل حيز يفضي إلى حيز آخر، فترى الصورة الفنية تتعمق بانشطارها إلى أشطار، وتجزئها إلى تركيبات، وبمثل ذلك تستوفي الرؤية موقعها، فتتبوأ مكانا مكينا ». [22]

من خلال هذه الوقفة نلاحظ أن الناقد يجعل من الحيز الواحد أحيازا مختلفة تتفرع عنه، فنجد الشخصيات تتنقل من حيز إلى آخر عبر نشاط، يطلق عليه « النشاط الحيزي، أو "الحيززة" ,Spatialisation) (Spatializatio ».[23]

والحيز عنده هو كل ما ارتبط بالخيال لا بالواقع، هو ما ارتبط بالمستحيل، بعكس المكان المرتبط الدلالة بالحقيقة، فالحق أن « العوالم الخرافية، والمتمثلات الخيالية التي تقع للأدباء في أن تكون حيزا صراحا ، لا

مكانا جغرافيا قاصرا، ولعل أجمل مثال للحيز الأسطوري ما يتمثل في نحو جبال قاف لدى الصوفية، وبلاد تفاحة "عالية بنت منصور، ما وراء السبع بحور" في الحكايات الشعبية الجزائرية، وبلاد " الواق واق " و " جبل السعالي " في الأساطير العربية ».[24]

إن كل الأحياز السالفة تقترن بصفة واحدة، والمتمثلة في أنها أحياز خيالية من إبداع المؤلف، فالحيز متسلط على « الكائنات الإبداعية، لا الحقيقية التاريخية، فيقارفها ولا يفارقها، إنه يندس فيها فيمنحها شرعية الكينونة الإبداعية، أي الدلالة الوجودية والجمالية والسيمائية معا. »[25]

ولتأكيد ما قيل سابقا نجد مرتاض عند تحليله رواية " زقاق المدق " يستعمل مصطلح " المكان " بدل " الحيز " وذلك لوجود أمكنة جغرافية حقيقية في النص مثل القاهرة ، وسيدنا الحسين ، والأزهر، وهلم جرا..".[26]

وللتوسع أكثر في هذا الموضوع نجد الناقد لم يتوقف عند مصطلح " الحيز" واكتفى به، بل ولد مصطلحات أخرى جديدة " كالنشاط الحيزي" أو " الحيززة " - كما أشرنا إلى ذلك سالفا - ، بالإضافة إلى اصطلاحه ل : (La proxémique)الذي عربه تحت مصطلح " البروكسيميكا " وهو مصطلح سيمائي عربي حديث النشأة، وقد جاء في اللغة الفرنسية أن كلمة «Proximité» اشتقت من الكلمة اللاتينية (proximus)بمعنى «كل ما هو قريب و (Proximitas) بمعنى التجاور المشتقين من الفعل (Approximare) بمعنى" يقترب " ... »[27]

و" البروكسيميكا " عند مرتاض « حقل لما يقم على ساقيه، وغايته هي تحليل أحوال الذوات، والموضوعات معا عبر الحيز »[28]

ويقر الناقد بأن اصطلاحه هذا ليس نهائيا، وإنما هو مؤقت في انتظار الاتفاق على مصطلح عربي لائق.

4- علاقة المكان بالزمان :

يعد كل من الزمان و المكان مكونين أساسيين من مكونات أي خطاب سردي ، فعلى عنصر الزمن تسجل الأحداث وقائعها ، و في حيز المكان تتحرك الشخصيات ، فهما كيانان لا يمكن أن يستقل أحدهما عن الآخر ، حتى إن الدراسات الحديثة اختصرتهما في كلمة واحدة هي الزمكان .

"لقد شغل مفهوم المكان كثيرا من الفلاسفة فعقدوا صلة وثيقة بين الزمان والمكان والحركة، ولذلك فإن النظر في أمر الزمان مناسب للنظر في أمر المكان، لأنه من الأمور التي تلزم كل حركة. وعلى الرغم من هذه الصلة إلا أن الأبعاد الزمانية بقيت مستقلة إلى حد ما عن الأبعاد المكانية في كل العلوم التي تناولته بالدراسة، حتى ظهرت نظرية النسبية، التي لم يفصل صاحبها فيها بين الزمان والمكان مطلقا، بل كونا لديه كلا متصلا، وقد أدخل الزمان باعتباره بعدا رابعا للمكان".[29]

إذن ظل مفهوم الزمان و المكان مفهومين مجردين قبل أن يأتي أنشتاين بنظرية النسبية ، من أجل تأكيد أن الزمان و المكان لا يوجدان بذاتهما ، أو منفصلين أو منعزلين عن بعضهما البعض ، ووفقا لنظرية النسبية فإن المكان و الزمان محبوكان مع بعضهما في نسيج زمكاني ، هذا النسيج الزمكاني الذي لم يلبث أن انتقل من الحقول العلمية إلى الحقول الأدبية .

انطلاقا من هذه المعطيات، أدرك ميخائيل باختين أهمية العلاقة بين الزمن والمكان ، يقول"من جهتنا سوف نطلق على العلاقة المتبادلة الجوهرية بين الزمان و المكان المستوعبة في الأدب استيعابا فنيا اسم(Chronotope) كرونوتوب ، مما يعني حرفيا الزمان المكان...، إن ما يحدث في الزمكان الفني الأدبي هو انصهار علاقات المكان و الزمان في كل واحد مدرك، ومشخص، الزمان هنا يتكثف، يتراص يصبح شيئا فنيا مرئيا ، و المكان أيضا يتكثف ،يندمج في حركة الزمن و الموضوع بوصفه حدثا أو جملة أحداث، والتاريخ، علاقات الزمان تتكشف في المكان، والمكان يدرك، ويقاس بالزمان، هذا التقاطع بين الأنساق، وهذا الامتزاج بين العلاقات هما اللذان يميزان الزمكان الفني"[30].

وفي هذا السياق (الزمكاني)، يبدو الحيز المكاني عند مرتاض" من المشكلات المركزية في العمل السردي، وخصوصا في الرواية، حيث إن هذه الكتابة، تختلف عن سواها (أدب المقالة مثلا) برسم الحيز، وغرس الزمن فيه، أو تعويم الزمن الحيز...، وعلى الرغم من أنهما متلازمان لا يفترقان، ومتقارفان لايتزايلان، فإن جمهور الدارسين، ومحللي الروايات يميزون بينهما على سبيل التيسير الإجرائي، وإلا فلا حيز بلازمان، ولا زمان بلا حيز، ولا يجوز أن ينفصل أحدهما عن صنوه في العمل السردي "[31]، فالزمكان عند مرتاض أيضا يتحقق دائما في العمل الأدبي و الفني بحضور المؤشرات الزمانية و المكانية .

وعند دراسته لرواية زقاق المدق نجد الدكتور مرتاض يصرح باستعماله لمصطلح الزمكان حيث مزج بين الزمان والمكان، وفي هذا يقول في سؤال إشكالي: "لماذا هذا المزج التركيبي المنحوت من الزمان والمكان في فصل واحد ؟ وهلا فصلنا بينهما، فتناولنا الزمان في فصل، والمكان في فصل آخر ؟

أما الفصل بينهما، فلا يمتنع إجرائيا، ولا سيما إذا انزلقت الدراسة إلى أدق التفاصيل في هذا، وذاك (...)، بين أن القرن بينهما، أيضا، لا يمتنع إجرائيا، ولا يسمح لترابطهما في حقيقة أمرهما أصلا، بل لتمازجهما، وتراكبهما حيث يستحيل تناول المكان بمعزل عن تضمين الزمان، كما يستحيل تناول الزمان في دراسة تنصب على عمل سردي، دون أن لا ينشأ عن ذلك مفهوم المكان في أي مظهر من مظاهره"[32].

ويضرب لنا عبد الملك مرتاض بعض الأمثلة لتوضيح فكرة الزمكان في كتابه (تحليل الخطاب السردي)، فعندما "نقرأ اسم مدينة تاريخية كالقاهرة مثلا فلا ينبغي أن نقرأ هذا الاسم بمعزل عن سياقه التاريخي الذي يفضي هو أيضا إلى سياق زمني يكون عائما، ومحصورا بحسب الظروف، والأطوار، فقولنا: القاهرة، أو مكة ،أو بغداد، أو تلمسان ،أو فاس، لا يعني إلا خلفيات زمنية طويلة معقدة، ومركبة، ونابضة بالحيوية، والحركية، والعنفوان"[33]، معنى ذلك أن الزمن" لا يجوز له أن ينفصل عن المكان إلا إجرائيا، حيث يعسر على أي دارس وصف مكان شهير كالقاهرة بمعزل عن الزمن، أي عن التاريخ الذي هو تحديد دقيق أو حصر لزمن معين يتصل بوقوع أحداث معينة، لأشخاص معينين، في أمكنة معينة"[34].

نختم حديثنا عن الزمكان بالقول إن ناقدنا لا يفصل الزمان عن المكان إلا على سبيل التيسير الإجرائي فحسب، حيث إن الزمن عائم داخل المكان لا محالة، لا يفارقه، ولا يمكن تصور أحداث حصلت في زمان بعينه، من دون أن تكون لها حركة حيزية معينة، فالزمان لا يكتمل دوره داخل العمل السردي إلا بوجود المكان والعكس صحيح.

ختاما، نورد مختلف مظاهر الحيز التي يمثل فيها، وقد أحصى - حبيب مونسي- جملة هذه التمظهرات الحيزية التي اكتشفها عبد الملك مرتاض في أعماله نثرا وشعرا، فصيحا وشعبيا، وهي كما يأتي : [35]

المؤلف / الحيز	بنية الخطاب	الميثولوجيا عند العرب	أ-ي أين ليلاي ؟	ألف ليلة وليلة	زقاق المدق	مقامات السيوطي
الحيز الراهن	X					
الحيز البديل	X					
الحيز المتحرك	X		X	x		X
الحيز المحاصر	X					
الحيز المحفوف بالأخطار	X					
الحيز الخرافي		X		x		
الحيز الشبيه بالأسطوري		X				
الحيز الجغرافي		X		x	X	X
الحيز التائه			X	x		
الحيز الحرام			X			
الحيز الحالم			X			
الحيز الشبيه بالجغرافي				x		
الحيز العجيب الغريب				x		
الحيز النص					X	
الحيز الروحي						X

يشير لنا الجدول السابق تصنيفا لجملة التمظهرات الحيزية التي استعملها الناقد في مختلف أعماله الشعرية و النثرية واصفا كل حيز بالصفة التي تبرز في العلاقة بين كل نص سردي وآخر تلك العلاقة المرتبطة بالشخصية السردية و الغرض الذي تقتضيه طبيعة النص المدروس.

خاتمة :

خلاصة الكلام نقول إن المصطلحات الأجنبية الوافدة إلى العالم العربي مصطلحات غير قارة، ولا مستقرة فكل باحث يتبع منهجا خاصا به حسب عاداته وتقاليده ،ووفق قناعته الشخصية، وقد اتضح من خلال البحث أن الناقد عبد الملك مرتاض في نقله للمصطلحات النقدية الغربية للثقافة العربية كان حريصا على ضبط المصطلحات و تأصيلها ، وهذا نظرا لما تمتاز به لغته من مظاهر الفنية والجمال، بالإضافة إلى كفاءاته اللغوية و المعرفية ، وتمكنه من لغة الثقافة الأخرى و التبحر في الثقافة العربية وتحكمه في لغة الضاد .

الهوامش:

1- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، تعهده وأشرف عليه حصرا: أحمد عويدات، منشورات عويدات- بيروت، باريس، المجلد الأول A-G، ط 02، 2001م، ص 362.

2- حنان محمد موسى حمودة: الزمكانية وبنية الشعر المعاصر – أحمد عبد المعطي أنموذجا- ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد- الأردن، (د-ط)، 2006م، ص 18.

3- بان صلاح الدين محمد حمدي: الفضاء في روايات عبد الله عيسى السلامة، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 11، العدد 01،2011، جامعة الموصل، ص 200.

5- كلثوم مدقن: دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح، الأثر – مجلة الأدب واللغات، العدد الرابع، جامعة ورقلة – الجزائر، ماي 2005م، ص 140.

6- غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط 02، 1984م، ص 06.

7- مرجع نفسه، ص 09 .

8-أحمد رحيم كريم الخفاجي: المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، مؤسسة دار الصادق الثقافية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط 01، 2012م، ص 421.

9-مرجع نفسه، ص 426.

10- لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية (عربي-إنجليزي- فرنسي)، دار النهار للنشر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط 01، 2002م، ص 128.

11- حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 01، 1991م، ص 53.

12-مرجع نفسه، ص 63.

13- محمد عز الدين التازي: الرواية والفضاء الروائي - مداخلة مقدمة لندوة الرواية العربية- رابطة أدباء الجنوب، أغادير، من 27 إلى 30 ماي 2011م، ص 04

14- أحمد رحيم كريم الخفاجي: المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، نفسه، ص 427.

15- عبد الملك مرتاض: أ-ي دراسة سيمائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي، ديوان المطبوعات الجامعية ،بن عكنون- الجزائر، (د-ط)، (د-ت) ص 102.

16- عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2007م، (د-ط)، ص 298.

17- عبد الملك مرتاض: شعرية القص وسيمائية النص – تحليل مجهري لمجموعة " تفاحة الدخول إلى الجنة"، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، باب الزوار-الجزائر، (د-ط)، (د-ت) ص 427.

18- عبد الملك مرتاض: الميثولوجيا عند العرب – دراسة لمجموعة من الأساطير والمعتقدات العربية القديمة، المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر 1989م، (د-ط)، ص 91.

19- عبد الملك مرتاض: أ-ي دراسة سيمائية، نفسه، ص 101.

20- العلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات- قاموس لمصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة، تدقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة 2004م، (د-ط)، ص 83.

21- عبد الملك مرتاض: شعرية القص وسيمائية النص، نفسه، ص 147.

22- عبد الملك مرتاض: بنية الخطاب الشعري – دراسة تشريحية لقصيدة " أشجان يمنية " ، دار الحداثة للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، ط 01، 1986م، ص 113.

23- عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية - بحث في تقنيات السرد - ، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت -، 1998م، (د-ط)، ص 145.

24- عبد الملك مرتاض: الميثولوجيا عند العرب، نفسه، ص 91.

25- عبد الملك مرتاض: شعرية القص وسيمائية النص، نفسه، ص 151.

26- عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي – معالجة تفكيكية سيمائية مركبة لرواية " زقاق المدق "، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية - بن عكنون - الجزائر، 1995م، (د-ط)، ص 245.

27- يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف – الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان، ط 01، 2008م، ص 263.

28- عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي، نفسه، ص 297.

29-حنان محمد موسى حمودة :الزمكانية و بنية الشعر المعاصر – أحمد عبد المعطي نموذجا-إشراف يوسف بكار ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، جدارا للكتاب العالمي –إربد الأردن ، 2006، ص 19 .

30-ميخائيل باختين: أشكال الزمان والمكان في الرواية، ترجمة يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية- دمشق، 1990، ص 06.

31-عبد الملك مرتاض : مائة قضية و قضية – مقالات ودراسات تعالج قضايا فكرية، ونقدية متنوعة، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2012، ص 149.

32-عبد الملك مرتاض : تحليل الخطاب السردي ، ص 227 .

33-مرجع نفسه، ص 228 .

34- نفسه ، و الصفحة نفسها .

35- حبيب مونسي: فعل القراءة - النشأة والتحول- مقاربة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض، منشورات دار الغرب - وهران، 2001م، (د-ط)، ص 127-128.

المصادر والمراجع:

1- أحمد رحيم كريم الخفاجي: المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، مؤسسة دار الصادق الثقافية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط 01، 2012م.

2- العلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات- قاموس لمصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة، تدقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة 2004م.

3- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، تعهده وأشرف عليه حصرا: أحمد عويدات، منشورات عويدات- بيروت، باريس، المجلد الأول A-G، ط 02، 2001م.

4- بان صلاح الدين محمد حمدي: الفضاء في روايات عبد الله عيسى السلامة، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 11، العدد 01،2011، جامعة الموصل.

5- حبيب مونسي: فعل القراءة - النشأة والتحول- مقاربة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض، منشورات دار الغرب - وهران، 2001م.

6- حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 01، 1991م .

7- حنان محمد موسى حمودة: الزمكانية وبنية الشعر المعاصر – أحمد عبد المعطي أنموذجا- ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد- الأردن، (د-ط)، 2006م.

8- عبد الملك مرتاض: أ-ي دراسة سيمائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي، ديوان المطبوعات الجامعية ،بن عكنون- الجزائرد.ت، د.ط.

9- عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2007م.

10- عبد الملك مرتاض: شعرية القص وسيمائية النص – تحليل مجهري لمجموعة " تفاحة الدخول إلى الجنة"، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، باب الزوار-الجزائر،د.ط،د.ت.

11- عبد الملك مرتاض: الميثولوجيا عند العرب – دراسة لمجموعة من الأساطير والمعتقدات العربية القديمة، المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر 1989م.

12- عبد الملك مرتاض: بنية الخطاب الشعري – دراسة تشريحية لقصيدة " أشجان يمنية " ، دار الحداثة للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، ط 01، 1986م.

13- عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية - بحث في تقنيات السرد - ، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت -، 1998م.

14- عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي – معالجة تفكيكية سيمائية مركبة لرواية " زقاق المدق "، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية - بن عكنون - الجزائر، 1995م.

15-عبد الملك مرتاض : مائة قضية و قضية – مقالات ودراسات تعالج قضايا فكرية، ونقدية متنوعة، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2012م.

16- غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط 02، 1984م.

17- كلثوم مدقن: دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح، الأثر – مجلة الأدب واللغات، العدد الرابع، جامعة ورقلة – الجزائر، ماي 2005م.

18- لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية (عربي-إنجليزي- فرنسي)، دار النهار للنشر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط 01، 2002م.

19- ميخائيل باختين: أشكال الزمان والمكان في الرواية، ترجمة يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية- دمشق،1990م.

20- يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف – الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان، ط 01، 2008م.